نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس

تقديم

أنا هير بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

ألقي في شعبان ١٤٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الحادي عشر/ الاثنين 13 شعبان 1441

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، بسم الله توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نكمل بإذن الله اليوم ما تدارسناه من هذه الرسالة المباركة، نسأل الله أن ينفعنا بها، وأن يجعل قراءتنا لها نوعا من أنواع الاجتماع حول العلم، وإن تباعدت أبداننا فالله يجعل قلوبنا مجتمعة، ويجعل لنا أجر الاجتماع حول العلم، اللهم آمين.

قوله ﷺ: «فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهُ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ»

(وقوله ﷺ بعد هذا: «فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهُ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ»

يريد بذلك أن ما يصيب العبد مما يضره أو ينفعه في دنياه فكله مقدرٌ عليه، ولا يمكن أن يصيبه ما لم يكتب له ولم يُقدَّر عليه ولو اجتهد على ذلك الخلق كلُّهم جميعًا، وقد دلّ القرآن

أيضًا على مثل هذا في قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا}[1]، وقوله: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ}[2] ، وقوله: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}[3]

وخرَّج الإمام أحمد[4] من حديث أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ».

واعلم أن مدارَ جميع هذه الوصية مِنَ النَّبي ﷺ لابن عباس على هذا الأصل، وما بعده وما قبله متفرعٌ عليه وراجع إِلَيْهِ؛ فإنَّه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خيرٍ أو شرٍ أو نفعٍ أو ضر، وأن اجتهادَ الخلق كلهم جميعا على خلاف المقدور غير مفيد شيئا البتة - علم حينئذ أن الله تعالى وحده هو الضار النافع والمعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه وإفراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال، وإفراده أيضًا بالعبادة والطاعة؛ لأن المعبود إنما يُقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار؛ ولهذا ذم الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا.

---

[1] ( ) التوبة: ٥١
[2] ( ) الحديد: ٢٢
[3] ( ) آل عمران: ١٥٤
[4] ( ) (٤٤١/٦)

وأيضًا فكثير ممن لا يحقق الإيمان في قلبه يقدم طاعة مخلوقٍ على طاعة الله رجاء نفعه أو دفعا لضره، فإذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر وبالعطاء والمنع، أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة، ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعا، كما يوجب ذلك أيضًا إفراده سبحانه بالاستعانة به، والطلب منه.

وقد اشتملت هذه الوصية العظيمة الجامعة على هذه الأمور المهمة كلها.

فإن حفظ العبد لله هو حفظ حدوده، ومراعاة حقوقه، وهو حقيقة عبادته، وهو أول ما صُدِّرت به هذه الوصية، ورُتّب على ذلك حفظ الله لعبده، وهو نهاية ما يطلبه العبد من ربه ويريده منه.

ثُمَّ عقّب ذلك بذكر التعرف إلى الله في الرخاء، وأنه مقتضٍ لمعرفة الله لعبده في الشدة، وهذا هو من تمام حفظ الله لعبده وداخل فيه، إلا أن حالة الشدة لما كان العباد مضطرين فيها إلى من يعرفهم ويفرج عنهم، خُصّت بالذكر لهذا المعنى، وفي هذه الحالة يُخلص المشركون الدعاء إلى الله وحده، ويُفردونه بالسؤال والطلب؛ لعلمهم أنه لا يكشف الضر سواه سبحانه، ثُم يعودون عند كشف الضر عنهم إلى الشرك، كما ذكر سبحانه

ذلك عنهم في مواضع من كتابه وذمَّهم عليه، فأمر ﷺ بمخالفتهم في ذلك بالتعرف إلى الله في حال الرخاء بإخلاص الدِّين له وحده، وبطاعته والتقرب إليه؛ ليوجب ذلك معرفتَه لهم في الشدة وكشفَها عنهم.

ثُمَّ عقب ذلك بذكر إفراد الله بالسؤال، وإفراده بالاستعانة، وذلك يشمل حال الشدة وحال الرخاء.

ثم ذكر بعد هذا كله الأصل الجامع الذي تنبني عليه هذه المطالب، وهو: تفرد الله سبحانه وتعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه لا يصيب العبد من ذلك كله إلا ما سبق تقديره وقضاه له، وأن الخلق كلَّهم عاجزون عن إيصال نفع أو ضر غير مقدَّرٍ في الكتاب السابق.

وتحقيق هذا يقتضي انقطاع العبد عن التعلق بالخلق، وعن سؤالهم واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضرّ، وخوفهم من إيصال ضر أو منع نفع، وذلك يستلزم إفراد الله سبحانه بالطاعة والعبادة أيضًا، وأن تُقدم طاعتُه على طاعة الخلق كلِّهم جميعًا، وأن يُتقى سخطه وإن كان فيه سخط الخلق جميعا.)

نبدأ من أول المعنى؛ وهو الجملة في الحديث: «فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ»، وهذا الكلام من النبي صلى

الله عليه وسلم لابن عباس توجيه عظيم لغلام لم يبلغ الحلم بعدُ؛ سيواجه الحياة، و سيواجه الناس، وسيواجه الأخطار، فيؤسس في قلبه هذه العقيدة: «فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهُ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ»

يقول ابن رجب: **(يريد بذلك أن ما يصيب العبد مما يضره أو ينفعه في دنياه فكله مقدرٌ عليه)**

وقد تأسس الحمد لله هذا المعنى في الجملة السابقة، وفهمنا أن كل ما يصيبك إنما هو اختبار لك.

هذا المعنى الآن سيزداد بيانا في هذه الجملة:

(ولا يمكن أن يصيبه ما لم يكتب له ولم يُقدَّر عليه ولو اجتهد على ذلك الخلق كلُّهم جميعًا)

إذن هذا أول تقرير، وهو من أصعب التقارير؛ إنك تستطيع أن تميز بين أن تستعين على قضاء أمورك الاستعانة المشروعة؛ في أن تأخذ بالأسباب، وتتعاون مع الخلق، وبين أن تعرف أنّ هذا التعاون يمكن ألا يكون له قيمة لأن الله لم يكتبه لك، قدرتك على التوازن بين هذين المفهومين من أصعب الأمور.

هذه الجملة ماذا تؤسس؟

إنه لو اجتهد الخلق كلهم على أن يجلبوا لك نفعا، أو يدفعوا ضرا عنك ما فعلوا.

(وقد دلّ القرآن أيضًا على مثل هذا في قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا})

هذه الجملة القرآنية من سورة التوبة متداولة -الحمد لله- بين المسلمين الأتقياء، نحن مؤمنين إنه **{لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا}**، وأن لا أحد يستطيع أن يفعل شيء لم يكتبه الله لنا.

ومثله آية الحديد التي تناقشنا فيها أمس **{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ}**.

ومثلها آية آل عمران لما كان المنافقين يتنادمون على من خرج منهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وقُتل: **{لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}**، فأتى هذا الجواب لهم **{قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}** لأي سبب كانوا خرجوا وقُتلوا في المكان الذي قُدر لهم.

وفيما يروى من الإسرائيليات، وقد أمرنا في مثل هذا ألا نصدق ولا نكذب أن جليس لسليمان عليه السلام كان جالسا في مجلسه، وأتى ملك الموت، وملك الموت فيما يذكرون أنه كان

يظهر لهم، وهذه أمور خصائص كانت في من قبل؛ أنه يُكتب على بيته أنه أذنب، وأنه يرى ملك الموت.

الشاهد أن ملك الموت بقي ينظر إلى جليس سليمان عليه السلام، ويحدق فيه النظر، فلما خرج خاف الرجل فقال لسليمان: أرسل بي إلى أبعد مكان، يعني بالريح، فأرسله إلى الهند، فتلقاه ملك الموت هناك وقبضه، ففي مجلس آخر لملك الموت يسأله سليمان: إنه ما بالك تحدق في جليسي قال: أُمرت أن أقبضه في الهند، فتعجبت أنه في مجلسك.

طبعا هذا مما يروى من بني إسرائيل مما لا يصدق ولا يكذب، لكن المقصد إنه مثل هذا {لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}، ما في أحد يختبئ من القدر.

(وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»)

وهذا من الأمور العجيبة التي لمّا يذوقها الإنسان يشعر بما يُعرف ببرد اليقين، يكون هناك شيء بارد لامسَ الفؤاد عندما يشعر بهذه المشاعر، وهي تضعف مع ضعف الإيمان، وتقوى

مع قوة الإيمان؛ كلما زاد الإنسان إيمانا كلما زادت هذه البرد قوة.

وأهم أسباب زيادة الإيمان الدوران مع هذه الجملة وفهمها **«إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»**.

وهذا معنى أنّ الشريعة قالت **«لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ، ولا هامَةَ ولا صَفَرَ»**[5]، وقالت **«فِرَّ من المجذومِ فرارَكَ من الأَسدِ»**[6]؛ لأنه لو أتيت وقلت فلان عداني، فإنك تجعل فلان هذا كأنه فاعل في أمرٍ قدّره الله، وتجعل هذا الفيروس فاعلا بنفسه، والمفروض إنه إذا وقع عليك هذا الأمر تؤمن أن الله قدّره.

ولا تنسَ نحن نفر من قدر الله إلى قدر الله، فلذلك **«فِرَّ من المجذومِ فرارَكَ من الأَسدِ»**، نفر من قدر الله إلى قدر الله، فلا تختلط عليك الأمور.

كل هذا يحتاج إلى توازن، فالمشكلة كلها في التوازن الفكري؛ فالرسول صلى الله عليه و سلم في مجلسه وأعرابي عنده قال **«لَا عَدْوَى فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ الإِبِلَ، تَكُونُ فِي الرِّمَالِ أَمْثَالَ**

---

[5] ( ) صحيح البخاري(5757)

[6] ( ) أخرجه البخاري (5707) مطولاً، وأحمد (9722) واللفظ له

الظِّبَاءِ، فَيَأْتِيهَا البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ؟ قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فمَن أعْدَى الأوَّلَ»[7]

يعني ينظر لها على أساس إنها متتاليه، حتى تصل إلى الصفر؛ بداية الأمر؛ ماذا تجد؟

تجد أن الله شاء أن ينزل على الناس هذا القدر، فإذا كانت هذه الحقيقة فكن ذا نفس طيبة؛ تعرف أن **ما أصابها لم يكن يخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها.**

فماذا نفعل، هل نخالط المرضى؟

أما من قوي إيمانه، واحتاج إلى ذلك فهذا شأن آخر.

لكن الشأن العام العام أن الإنسان يحترز امتثالًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم «فِرَّ من المجذومِ فرارك من الأَسدِ»، مع عقيدته إن لا إنسان يمكن أن ينقل له المرض لو ما أذن الله، لو ما أذن الله المرض ما ينتقل بنفسه.

نمثل بالمرض-الله يحفظ المسلمين جميعا- لأن هذا الموضوع الدائر بين الناس.

---

[7] ( ) صحيح البخاري(5775)

وقد أكل إيمان الناس تركيزهم على الأسباب، وتركهم رب الأسباب.

وأتت الوسوسة أيضا فجعلت الناس ينسون، أنك لو كنت في حفظ الله ما أصابك شيئا.

كثرة الكلام عن الاحتراز أوصل الناس للانشغال بالأعمال الاحترازية المادية دون الأعمال الاحترازية الشرعية؛ من قول الأذكار، ومن التوبة والاستغفار؛ فتركوا الحصن الأعظم والأقوى إلى الأضعف، وهذا يجعل الإنسان تختل موازينه في فترة المفروض يكون يعرف إنه في اختبار، الله ينجحنا جميعا في هذا الاختبار وفي كل اختبار، ويجعلنا ممن يتولاه الرحمن، ولم يتسلط عليه الشيطان؛ فإن وساوس الشيطان اليوم تكاد تكون قد غلبت أناس كثيرين، الله يشفي جميع مرضى المسلمين.

يقول (**واعلم أن مدار جميع هذه الوصية مِنَ النَّبي** صلى الله عليه وسلم **لابن عباس على هذا الأصل، وما بعده وما قبله متفرع عليه وراجع إِلَيْهِ**)

على هذا الأصل: على جملة ماذا؟

على جملة «**فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ**»؛ يعني الذي قبلها والذي بعدها معتمدٌ على هذا المعنى.

وهذا يجعل هذه الجملة لها أهميتها الخاصة؛ بحيث إنه عليها تُؤسس عقائد الناس، كيف تكون هذه الجملة هي الجملة الأساسية؟

يقول (**فإنَّه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر أو نفع أو ضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم جميعا على خلاف المقدور غير مفيد شيئا البتة علم حينئذ أن الله تعالى وحده هو الضار النافع والمعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه، وإفراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال**)

ومن هنا يبدأ الكلام؛ أنت وظيفتك في الحياة، ومهمتك التي تقوم بها، والتي **خُلقت لها هي أن توحد الله**؛ تفرده سبحانه وتعالى بالكمال المطلق، وتفرده سبحانه وتعالى بالتدبير لكل شيء، وتفرده سبحانه وتعالى بالمُلك لكل شيء، فهو المَلِك المدبر، وهو وحدة كامل العلم، وحده كامل الحكمة.

إذا عرفت هذا عن الله إذًا أفرده بالاستعانة، أفرده بالسؤال، أفرده بالتضرع، أفرده بالابتهال؛ ما تسأل إلا الله، ما ترجو إلا الله.

والخلق كما تبين لنا سابقا تجري من خلالهم الألطاف، وتحصل على أيديهم العطايا؛ فإن الإنسان للإنسان حامل عطية الرحمن.

أما الإنسان وجميع الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك، أو على أن يضروك ما استطاعوا.

إذًا معنى ذلك أن المطلوب منك إذا عرفت حال الناس أن توحّد رب الناس، وأن تكون واحدٌ في الأرض لواحدٍ في السماء؛ ترجوه، وتخافه، وتقبل عليه.

(وإفراده أيضًا بالعبادة والطاعة؛ لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ولهذا ذم الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا.)

وكل الشأن الآن في العبادة والطاعة إنما هو مبني على هذه المعرفة؛ لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر، ولا يغني عن عابده شيئا.

الذي يعبد غير الله يفكر أن هذا المعبود من يفيده من دون الله، ولذلك إذا كان يرى أنه ينفعه، فهو يتقدم له بأنواع من الخضوع، بأنواع من الانكسار والذل، والطلب، لأجل أن يحصل منه على

مراده، واجعل عبدة البقر نموذجا لك، وافهم المراد بذلك؛ في مقالة مشهورة عن غاندي الذي هو رمز النضال عند الهند أنه عبدة البقر، وهو بالنسبة لهم زعيم روحي، وهو يتكلم عن البقرة فيقول: إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي، وهي خير حماية للهند! ويقول عن نفسه: أمي البقرة أفضل من أمي الحقيقية من عدة وجوه! يقول: الأم الحقيقية ترضعني مدة عام أو عامين، وتطلب مني خدمات طول العمر، ولكن أمه البقرة تمنحنا اللبن دائما، ولا تطلب منا شيء سوى الطعام العادي، ثم تكلم كيف لما تموت يعني أمه الحقيقية هناك تكاليف باهظة لأجل أن يدفنها، و أمه البقرة لا تكلفه، و تنفعه أمه البقرة في عظامها، وفي لحمها، وجلدها، فالهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، الحمد لله على نعمة الإيمان والتوحيد، إنا لله وإنا إليه راجعون.

كل هذا ليُفهم أصل نظرة الناس إلى العبادة، هذا النقاش نناقشه لماذا؟ لأجل أن تعرف إنه لا أحد يتعدى وقت عبادته بشيء إلا أنه يظن أن هذا الذي يعبده ينفعه ويدفع عنه الضر، وهو مسكين لا يعلم أن لا أحد يملك النفع، ويدفع الضر إلا الله عز وجل.

(ولهذا ذم الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا.)

وهذا كتير في القرآن، والوقوف عليه يعني يحتاج إلى دروس التوحيد؛ ليظهر كيف أن الإنسان لو فكّر بعقله لعلم أن كل أحد يتعلق به من دون الله في حقيقته لا ينفع ولا يضر؛ لكن ابتلينا بهؤلاء حولنا الذين يمكن للقلب أن يتوجه إليهم، أو يطلب منهم، أو يسألهم، أو يرجوهم في أي حال، ابتلاء علينا وجودهم في حياتنا، ابتلاء تكون الأرزاق من ورائهم، ابتلاء أن عينك ترى أن المصلحة عندهم، ونحن مر معنا مناقشة هذه المسألة، وإنه **«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»**، وكل هؤلاء إنما هم أسباب ووسائل مكملة للاختبار الذي نحن فيه؛ هل عينك تصل إلى الحقيقة؟ هل ببصيرة قلبك تعرف إنه لا ينفع ولا يضر إلا الله؟ وهل إذا عرفت هذا وضَعْت الأمور في موضعها وأئتمرت بما أمرك الله؟ أو يختل توازنك؛ فتقول لا ينفع ولا يضر إلا الله، ولا تأتمر بما أمرك الله أن تأخذه لتصل إلى مصالحك؟ التوازن في مثل هذا هو الأمر الصعب.

(وأيضًا فكثير ممن لا يحقق الإيمان في قلبه يقدم طاعة مخلوق على طاعة الله رجاء نفعه أو دفعا لضره)

يعني هذا الآن مؤمن ما عنده إشكال، ولا يرى غير الله النافع الضار، لكن يضعف إيمانه.

(ممن لا يحقق الإيمان في قلبه) يضعف إيمانه؛ فبسبب ضعف إيمانه ماذا يفعل؟

يأتي عند مخلوق يظن أن مصلحته محبوسة وراءه، فيقدم طاعة المخلوق على طاعة الله، وينادي المخلوق، و يطلب من المخلوق، هذا المخلوق حي قادر؛ أي أنه ليس نداء شركيا، و لكن قلبه متعلقا به غاية التعلق، ومنتهى أملُه أن يصل لهذا المخلوق، أو أن يعطيه هذا المخلوق، فهذا طبعا من ضعف تحقيق الإيمان، يعني من ضعف الإيمان.

المفروض تحقق الإيمان بأن تكون عزيزا، تعلم أن مصالحك يأتي بها الله، وأن هؤلاء الخلق ورقة اختبار، ما المطلوب فيها؟

أن تفلح وتنجح بأن تذكر الله، وما تذكر غير الله، تسأل الله، وما تسأل غير الله، وإذا اتجهت لأحد مصلحتك عنده أن تطلب من الله أن يسخره لك، وييسر لك، وأن يجعلها تنجز على أيسر ما تكون.

(فإذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر وبالعطاء والمنع، أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة)

فما يملك كل شيء إلا الله، لله ملك السماوات والأرض.

فإذا كان له ملك السماوات والأرض، فهو الذي يدبر السماوات والأرض، وإذا كان هو الذي يدبر السماوات و الأرض، إذًا له العلم التام والحكمة التامة، وحاجاتك كلها عنده، فهو الذي يُطاع، ويُرجى، ويُسأل

(أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة، ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعا)

لماذا؟ هو مالك الملك، وكل الخلق هؤلاء عبيد مثلهم مثلي.

هذا الإيمان القوي الذي يجعلك ترى أن مصالحك كلها في يد الله، وأن الله يختبرك بجعل نوع من مصالحك في الظاهر كأنه بيد الخلق، لكن إذا دخلت على الخلق دخول المؤمن التقي الواثق من رب العالمين، ودخلت عليهم وأنت بالله مستعين، وقد سألت الله، واعتصمت بالله، وتوكلت على الله، واتخذت الله وكيلا، تدخل عليهم بهذه الحال يسخر الله لك كل حال، لكن تدخل قلبك معلق بفلان، أو بعلان، أو بواسطة، أو بمعرفة، أو متأكد أنك صاحب حق وستأخذ حقك، كل هذا ما يوصلك إلى مرادك.

ما يوصلك إلا سؤال الله، والاستعانة بالله، والتوكل على الله، و الكفاية بالله.

فإذًا بهذا نصل أننا سنفرد الله بالاستعانة، ونفرد الله بالسؤال والطلب، وهذه ما اشتملت عليه الوصية:

يقول: **(وقد اشتملت هذه الوصية العظيمة الجامعة على هذه الأمور المهمة كلها.)**

إذًا يذكرنا الآن بما اشتملت عليه الوصية:

يقول: **(فإن حفظ العبد لله هو حفظ حدوده، ومراعاة حقوقه، وهو حقيقة عبادته، وهو أول ما صُدِّرت به هذه الوصية)**

إنه **«احفظِ الله يحفظك» احفظ الله:** يعني حفظ حدوده، ومراعاة حقوقه، وهذه حقيقة عبادة الله.

(ورُتّب على ذلك حفظ الله لعبده، وهو نهاية ما يطلبه العبد من ربه ويريده منه)

لا تُخل بحقوق الله، لا تخلط فيخلط عليك، إنما احفظ حدود الله يحفظك الله وهذه نهاية مطالبك.

(ثُمَّ عقّب ذلك بذكر التعرف إلى الله في الرخاء، وأنه مقتض لمعرفة الله لعبده في الشدة، وهذا هو من تمام حفظ الله لعبده وداخل فيه)

يعني «تَعَرَّفْ إلى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشِّدَّةِ» هذا من تمام حفظ الله لعبده.

يعني يقصد إنه «تَعَرَّفْ إلى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشِّدَّةِ» هي نفس معنى «احفظ الله يحفظك»، لكن لماذا خصت حالة الشدة؟

(لما كان العباد مضطرين فيها إلى من يعرفهم ويفرج عنهم)

فاحفظ الله في كل الأمور يحفظك الله في كل الأمور، وتعرف إلى الله في الرخاء تجده معك في الشدة.

فهذا المعنى خاصةً لأن الناس أعظم ما يطلبون الإعانة وقت ما تنزل عليهم الشدائد، فإذا الله كان معك في الشدائد، وأراد نجاتك سخر لك الأسباب، لكن الأمة لو اجتمعت على أن ينجّوك، والله ما أراد نجاتك فهذا لا يكون.

وقد مرّ موقف من سنين بعيدة -أكثر من ثلاثين عاما- أن شابا رحمه الله تضرر من حادث سير تضررا عظيما، فأدخل المستشفى الأولى وهي مستشفى بمقابل ليست حكومية، إنما هي مستشفى أهليه، وكان هناك ما يسمى بغرفة العناية المركزة، وقدّر الله إنه في هذه المستشفى يعطل جهاز متصل بالقلب كان من الضروري وجوده، فيحملونه في سيارة الإسعاف ويطلبون

من مستشفى حكومي أن تنقله إليها، الشاهد نقلوه وأتت سيارة الإسعاف مجهزة ونقلته، ودخل إلى العناية المركزة في المستشفى الكبيرة الحكومية، وهي مستشفى مشهود لها، يعني بأجهزتها و بقدراتها الطبية، فيدخل غرفة العناية، ويُركب له الجهاز، فيقدر الله أن يعطل نفس الجهاز في هذه المستشفى في تلك الساعة، وبعد الإجهاد والانتقال ما استطاعوا سبحان الله أن يتداركوا الموقف؛ لأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك، فالأمر بيد الله، وهم في نقلهم، وأخذهم الإجراءات قد فعلوا ما يستطيعون، لكن ما كانوا لينفعوه.

في هذه المواقف الآن صاحب الموقف الذي هو الأخ أو الأب أو الأم لهذا الشاب لا بد أن تنظر للأجهزة كلها والطاقم الطبي والممرضين وغرفة والإسعاف لابد أن تنظر لهما جميعا على أنهم مُلك لله؛ إذا شاء الله سخر هذه الأدوات وهؤلاء الناس جميعا فنفعوه، وإذا شاء سخرها جميعا فلم ينفعوه، وإذا شاء لم يسخرهم أصلا.

فكل هذا من الاختبارات التي يختبر فيها الإنسان وأصعب الاختبارات الحقيقة هو المرض وما يلحقه من آلام ومن خوف

الموت، ولذلك الشيطان حريص جدا على الوسواس للإنسان في هذا الباب.

يقول ابن رجب رحمه الله: **(خُصّت بالذكر لهذا المعنى، وفي هذه الحالة يُخلص المشركون الدعاء إلى الله وحده، ويُفردونه بالسؤال والطلب؛ لعلمهم أنه لا يكشف الضر سواه سبحانه)**

في الحقيقة يعلمون أنه لا يكشف الضر إلا الله، وأنتم تعلمون أن الناس على المستوى الطبي كل وقت يخرج لنا رأسه مفتخرا أنا قدرت أفعل كذا، وأنا أفكر في استنساخ الإنسان، وأنا سأحارب الموت، وتقنية التجميد لأجل إعادة الموت، يخرج رأسه مفتخرا في المجال الطبي، وكلما تكلمنا وقلنا فليتقوا الله وأن كل حضارة قد فتح لها حتى تأتيها لحظة تنهار كلها، خاصة الجزء الذي يفتخرون به، والناس من الزمن الأول يفتخرون بحضارتهم. اقرأوا في سورة الروم، فالله يعلمنا أحوال هؤلاء، وكيف أنهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون، ولذلك في سورة الروم أمرنا الله **{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ**

يَظْلِمُونَ}[8]، وذكر لنا الله عز وجل عاقبة هؤلاء، وذكر لنا عاقبة الاستهزاء، وأخبرنا أنهم سيكونون يوم القيامة في أشد ما كانوا عليه في الدنيا.

فلا تظن أن الناس الذين سبقوك ما بلغوا في الحضارة مبلغا، بل أنهم من كثرة ما وصلوه في الحضارة ترى آثارها، لكن لا تعلم أسرارها، ذهبوا وذهبت معهم أسرارهم، طواهم العظيم سبحانه وتعالى، {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}[9]، وهكذا كل من تكبر على الله بما أعطاه الله، لكن لما تأتي الشدة؛ ذاك الوقت يقولون انتهت حلول الأرض ما في إلا حلول السماء، فلنصلِ، وكل هذا الذي سمعناه ورأيناه وعشناه، فليس فوق ما ترى وتسمع غاية للبيان، هذا غاية البيان الذي أحيانا الله لنراه؛ لماذا لا يسألون إلا الله؟

(لعلمهم أنه لا يكشف الضر سواه سبحانه)

لكنهم لهم عادة بغيضة مع رب العالمين:

(ثُم يعودون عند كشف الضر عنهم إلى الشرك، كما ذكر سبحانه ذلك عنهم في مواضع من كتابه وذمَّهم عليه)

---

[8] ( ) [الروم:9]

[9] ( )[مريم:98]

وهذا قد ذُكر في مواطن كثيرة؛ ذُكر في يونس، ذُكر في لقمان، ذُكر في مواطن كثيرة هذه النفسية التي أول ما تتأمل تحسب أنه ما يعيد الله عزوجل عليها الشأن وتعتقد أنها في مأمن من أن ينزّل الله عزوجل عليها سخطا آخرا، ولذلك في سورة الإسراء أخبرهم سبحانه وتعالى عن هذا الأمر؛ كيف أنتم تظنون بهذا الظن، يقول لهم سبحانه وتعالى{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا}[10]

ما أعجب الإنسان وأعجب كفرانه! أول ما يأتيه الضر يعترف برب العالمين، ثم لما يشعر بأنه نجا يعود إلى ذلك.

والحقيقة أذكر بنفسي إنه أول ما حدث تسونامي اليابان، المذيع الياباني الذي ينقل الخبر-وهم ملاحدة و وثنيين- يقول: "هذه قدرة الإله"، فقط هذه الكلمة التي في كل الملحمة العظيمة، جاءت فيها

---

[10] ( ) [الإسراء:67-69]

اسم الإله، وبعد ذلك بدأوا يتكلمون عن القشرة الأرضية، واصطدامها، وتمكنهم من إعادة توازنهم.

هكذا الخلق مع رب العالمين، والذي يُخشى منه أن نكون نحن المؤمنين مع ضعف الإيمان يكون في شيء من هذا البلاء: أنه لما نخاف من المرض نتوب ونستغفر ونقبل على ربنا، فإذا شفانا الله عدنا إلى سابق العهد.

يمكن أن يقال يعني أكيد في وقت الشدة ما نكون مثل وقت الرخاء؟

نقول لكن لا ننقلب على أعقابنا مثلما يفعل الناس لما يخرجون من رمضان ضعفاء الإيمان، ينقلبون على أعقابهم، قد تنقص الهمم، يحصل من هذا الأمر قليلا، لكن ينقلب الإنسان على عقبيه؟ نعوذ بالله من الخذلان.

(كما ذكر سبحانه ذلك عنهم في مواضع من كتابه وذمَّهم عليه)

المواضع هذه كثيرة، وكلها فيها أن كن حذرا ياأيها الإنسان من هذا المسلك الشيطاني؛ أنه لما تشعر بالضر تلجأ لرب العالمين، ثم ترجع تتخبط وتعود إلى أحوالك هذه حال المشركين.

نحن المؤمنين الحمد لله رب العالمين تفضل الله علينا بالإيمان، وهو المنان أمرنا بماذا؟

(فأمر ﷺ بمخالفتهم في ذلك بالتعرف إلى الله في حال الرخاء) ليس وقت الشدة فقط **(بإخلاص الدَّين له وحده، وبطاعته والتقرب إليه؛ ليوجب ذلك معرفتَه لهم في الشدة وكشفَها عنهم.)**

لكن ما يكون لك صوت في نداء الله، ولا رجاء الله، ولا انكسار بين يدي الله، وثم تأتي في الشدة فتطلب الله؟ ستكون في هذا تشبه أولئك اللي ذمّهم الله، الله يستجيب لهم ليعلمهم، وأصلا لا يدخلهم في هذه الكرب إلا لكى يُعيدهم إليه وليتوبوا، لعلهم يرجعون؛ **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**[11]، فإذا رجعوا بعد الشدة، كان الواجب أن يبقى رخاءهم ذكر لله، وطاعة الله، وسؤال لله.

هذا المعنى كله مبني على أي شيء؟

على أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك، هذا المعنى كله مبني على أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بما كتبه الله لك، ولو اجتمعوا أن يضروك لن يضروك بشيء إلا

---

[11] ( )]الروم:41[

بشيء قد كتبه الله، فأنت لا تُبالِ بالناس الذين هم مسخرين، فكر في رب العالمين الذي يسخرهم، فكر في رب هذا الداء، ولا تفكر في الداء، واسأل رب الداء أن يحيطك بالرعاية والحماية والنعماء؛ ماذا ستفعل لما تفكر في الداء؟ ماذا ستقول؟ من ستنادي؟من أي شيء ستخاف؟ في أي وضع ستأمن؟ الأطباء يقولون هذا كل وقت يغير صورته؛ فما لنا لجوء إلا لرب هذا الداء.

يقول (**ثُمَّ عقب ذلك بذكر إفراد الله بالسؤال، وإفراده بالاستعانة، وذلك يشمل حال الشدة وحال الرخاء. ثم ذكر بعد هذا كله الأصل الجامع الذي تنبني عليه هذه المطالب**)

كل المطالب السابقة: أنه أفرِد الله بالاستعانة، أفرِده بالسؤال، احفظ الله يحفظك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، ما هو الأصل الجامع الذي يجمع بينها؟

(**وهو: تفرد الله سبحانه وتعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه لا يصيب العبد من ذلك كله إلا ما سبق تقديره وقضاه له، وأن الخلق كلَّهم عاجزون عن إيصال نفع أو ضر غير مقدَّر في الكتاب السابق.**)

فهم كما اتفقنا أمس أوراق اختبار لك؛ هل تلتفت لهم أم تلتفت إلى مسخرهم؟

كيف أصل إلى هذه الحال؟ كيف أصل إلى حال يكون قلبي فيه متعلق بالله؟

(وتحقيق هذا يقتضي انقطاع العبد عن التعلق بالخلق، وعن سؤالهم واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضرّ، وخوفهم من إيصال ضر أو منع نفع)

لكن الواقع يقول إن هؤلاء ممكن يضروني؟

اعلم أن هذا من الاختبارات، وأن الله جعل للأمور ظاهرا وباطنا:

- فإن الظاهر: أن العبد هو الذي ينفعك ،والظاهر أن العبد هو الذي يضرك.
- والحقيقة: أن الله يسخر العبد فينفعه؛ فينفع أخوه، ويسخر العبد فيحصل منه الضرر.

وارجعوا إلى ما مررتم به من مواقف، وكلما زدتم صحة في التفكير كلما تيقنتم بذلك، فكم من لقمة لم تكن لمن أعطيناه إياه، لكن قدر الله أن يفتح فمه فتدخل في فيه، وكم من لباس أخطأنا فكان كساءً لمن لم يمر بخاطرنا، أمور تعجز عن وصفها تمر

عليك، كلها تعود فتقول: من كان له رزق سخرت له الأسباب لأجل أن يصل إليه رزقه، ومن لم يكن له رزق انقطعت دونه الأسباب فلا يصل إليه الرزق.

ونحن في موقف الواثق في رب العالمين، الذي يكتب في ورقة الاختبار: أعلم يقينا أن ما لم يصلني من الرزق لم يكن مكتوبا لي، لم يمنعه فلان أو فلان، وأعلم أن ما وصلني من الرزق إنما حُمل على يد فلان، ساقه الله إليّ، نكتب ذلك في الاختبار، نجيب هذا الجواب، فلا نخاف من أن يخطف لقمتنا أحد، ولا نتذلل ولا نكسر عند أحد لينفعنا، بل نطلب رب الأسباب أن يسخر الأسباب، ونتخذه وكيلا، يدبر لنا الأمور، ونسعى سعي المطمئنين الذين لا يخالفون ما أمر رب العالمين.

نسأل الله عز وجل أن نكون من الموحدين الصادقين المؤمنين المتقين، وأن يعيذنا من الشيطان الرجيم، وأن يجعلنا من الفالحين الناجحين، وأن يبعدنا عن الخسارة والخيبة، وهو رب العالمين الرحمن الرحيم، فمن زحزح عن النار، وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهى اللقاء.